مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 15 / العـدد 02 / سبتمبر2021 / ص ص 375 - 383
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

كورونا والر ابط الاجتماعي، تعزيز أم تفكيك؟

Corona and the Social links. Supporting or Breaking out ?

بشير طلحة
جامعة بالاغواط (الجزائر) ، mn.talha@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/05 تاريخ القبول: 2021/09/15 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:
يعتبر حدث تفشي وباء كورونا عالميا حدثا بارزا نظرا لمستويات تأثيره المختلفة، والتي تعبر بشكل واضح على اختبار مدى قدرات المجتمعات وصلابتها في التصدي لهذا الوباء والتعامل معه، من خلال ملامسته للعلاقات والروابط الاجتماعية ، وهو بذلك يمس أساس بنية وتركيبة المجتمعات من خلال، تعزيز هذه الروابط او تفتيتها او بروز روابط جديدة تتماهي مع هذا الحدث، مما يضفي عليها صفة النسبية وعدم الثبات

تشير جل الدراسات السوسيولوجية سواء كانت التقليدية أو الحديثة منها الى تنامي درجات التضامن بين أفراد المجتمع خلال الحروب و الأزمات وخاصة المجتمعات ذات الطابع التقليدي التي تخضع لأنظمة تقليدية تعزز سبل التضامن بين أفرادها ، فإلى أي مدى اثر هذا الوباء على مستويات ارتباطها؟ وهل ساهم في تفكيك الروابط الاجتماعية التي بنيت عليها ؟ ام عزز دورها من خلال طرق التضامن و التآزر التي ظهرت لدي المجتمعات ، سواء داخليا ام خارجيا؟

كلمات مفتاحية: الرابط الاجتماعي، كورونا، الجائحة، الفردانية.

ABSTRACT:
Corona epidemic spreading event all over the world is a prominent event of its effect levels of influence. It's clearly a test for the extent of the societies hardness and toughness in facing it and dealing with it, through its touching the social relations and links. It touches the basis of the structure and constitution of the societies through supporting these links or breaking them out, or appearing new links that go with this event, and give these links the characteristic of relativity and instability.

Most of sociological studies, whether traditional or modern indicate that levels of solidarity members of societies grow during wars and crises, especially societies of traditional nature that are subjected to traditional systems which support the means of solidarity among their members. So, how extent did this epidemic effect its link levels? Did it contribute on breaking out the social links which were built on? or did it support its role through forcing solidarity methods that were appeared in societies, even internally or externally?

Keywords: The social link, Corona, Pandemic, Individuality.

- المؤلف المرسل: بشير طلحة

1- مقدمة:

مع الانتشار الكبير لجائحة كورونا وتداعياتها وأثارها المختلفة على الفرد والمجتمع، وعلى كل المستويات، بدا تتبع مخلفاتها أمرا بالغ الصعوبة نظرا لعمقها في الميادين المختلفة في جزئيات الحياة وكلياتها، و رصد تأثيرها على مستوي العلاقات والروابط الاجتماعية و الوقوف عندها يرتبط بمدي اختيار المؤشرات القوية والدالة على تغير هذه الروابط من عدمها، والتي تحتاج الى آلية قياس وضبط مُحكمة علميا، تم مقاربتها من خلال هذه المساهمة على مستويات متباينة توضح التغيرات التي مست الروابط الاجتماعية ودرجة تماسكها والخلل الذي أصابها والبدائل التي ساهمت في ترميمها او استعاضتها بروابط تعيد للمجتمعات لحمتها، وهذا في حد ذاته لم يكن أمرا يسيرا نظرا للغموض الذي يكتنف مفهوم الروابط ومستوي مقاربتها، من جهة وصعوبة الإلمام بكل الآثار التي تركتها الجائحة والتي تمتاز بتمددها، لذلك تقف هذه المساهمة عند البعض دون الكل حسب أهميتها من خلال الطرح التالي.

2- المنهج ومستويات التحليل :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بعدم الثبات وهذا ما يصعب عملية الاقتراب منها وتفسيرها، ويجعل استحضار المناهج وأدوات التحليل مرهون بمستويات تغير الظاهرة و تطورها، وهذا ما يصدق على الجائحة التي مست دول العالم اجمع، واستنفرت مفكري العالم باختلاف توجهاتهم وتخصصاتهم للتعاطي مع هذا الحدث وتحليله والبحث في نتائجه التي كان لها تأثير مباشر على المجتمعات، ومنه فان عنصر المفاجئة كان حاضرا منذ الوهلة الاولي لظهور المرض، والذي أربك العديد من المفكرين والمتخصصين في التعاطي معه وفهمه، نظرا لقلة المعلومات المتوفرة وبعد الحدث جغرافيا في بداياته، وهذا بدوره من وجهة نظر علم الاجتماع أعاد إحياء التنازع الموجود بين المقاربات الكمية والكيفية في علم الاجتماع خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة، وتغليب النزعة الكيفية في فهم وتحليل الأحداث كما دعا الى ذلك كبار علماء الاجتماع الذين اثبتوا قصورا في المناهج الكمية ومستويات تحليلها.

فمستويات التحليل كانت مرهونة بردات الفعل التي كانت تتمركز أساسا في الفضاء السيبراني والتي يمكن رصدها و تحليلها وتساعد على تقديم فهم و سيرورة الظاهرة في بداياتها كما كان لتوظيف الملاحظات خاصة بالنسبة للمجتمعات التي لحقتها الجائحة مبكرا دور في فهم أثارها على المجتمعات والتغيرات التي رصدت في وقتها للتعاطي مع الظاهرة، وهذا لم يكن بنفس مستوي التحليل مع تفشي المرض ووصوله الذروة بعد مرور عدة أشهر على ظهوره، أين أتيحت معلومات أكثر واليات اكبر لتحليل الظاهرة، كما سخرت إمكانيات تضافرت فيها جهود العديد من المجالات العلمية التي بدت أكثر تأقلما وفهما للمرض وتأثيراته، ونفس التأثير كان واضحا لدى شرائح المجتمع التي باتت تتأقلم مع المرض وتطوراته اجتماعيا، وأتيحت فرصة إجراء البحوث الميدانية وإشاعة استعمال الاستبيانات الالكترونية وغيرها من الوسائل البحثية التي ستترك تحليلا وفهما للوباء، بخلاف بداياته الاولي.

لذلك تأتي هذه الورقة كاستجابة مباشرة وسريعة لرصد ردات الفعل خلال الأيام الأولي لانتشار الوباء والتي تعتمد أساسا على تتبع واستقصاء محتويات الوسائط الإعلامية التي كانت الفضاء الوحيد المتاح للباحث في تتبع الوباء وفهمه وفهم تفاعلات وردات الفعل اتجاهه من طرف المجتمع، كما لم تستثني الدوائر والمصالح الإدارية وعلى رأسهم وزارة الصحة والسكان التي قدمت رصدا إحصائيا لانتشار الوباء، فيما الجزء الأخر حرر خلال انتشار الوباء في مراحل تلاشيه الأخيرة محليا ودوليا، ولكن رغم ذلك تبقي هذه المحاولة تتجه صوب المقاربة الكيفية، رغم استعانتها بتقديم قراءات من خلال الاحصاءات المنشورة، وذلك لما تتطلبه الدراسات الميدانية من جهد ووسائل ووقت، قد تكون فاتحة لدراسات اكثر تعمقا في مسارات علمية.

3- المفاهيم :

3-1- الرابط الاجتماعي :

يعتبر موضوع الرابط الاجتماعي موضوعا محوريا وأساسيا في الفكر السوسيولوجي سواء التقليدي او الحديث ، ويظهر ذلك من خلال المساهمات المبكرة " لرواد علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر، حيث شكل مشروعا سوسيولوجيا، مع تزايد القلق حول ظهور اللامعيارية والانوميا التي كان يعتقد انها مرتبطة بالمجتمعات الصناعية " (Dartiguenave, Le Bot,& Garnier,2021,p.51) .

لكن المساهمة الأساسية في تفسير الرابط الاجتماعي تبلورت مع كل من اعمال دوركايم وفرديناند تونيز، من خلال طرحهم لمسالة التضامن الاجتماعي، وتقسيم المجتمعات الى تقليدية وحديثة حسب نوعية التضامن الذي يسود بهما، فقد ميز بين نوعين من تضامن احدهما آلي والأخر عضوي ويظهر هذا النوع مع المجتمعات الصناعية التي سادت بها الفردانية، فيما يشير التضامن الآلي إلى المجتمعات التقليدية، ونجد نفس الفكرة لدي تونيز من خلال توضيحه لفكرة " الانتقال والمرور من نظام المجموعة المحلية الى المجتمع التعاقدي، فالمرور او الانتقال يكون عبر عملية يكون الانتماء فيها الى مجموعة محلية، تكون فيها العلاقات ونوعية التواصل والرباط بين الأفراد قوية أين تشخص فيه العلاقات، ثم تنتقل إلى نظام مترابط، هذا النظام الذي يعمل على إدخال الأفراد في إطار من العلاقات اللاشخصية " (رشيد حمدوش ، 2009، ص 35).

نحن هنا لسنا بصدد تتبع التطور التاريخي للمفهوم، بل سنشير إلى بعض التعريفات لأهم المشتغلين بالموضوع، لرفع اللبس عنه وتوضيحه، مع الاعتراف بان المفهوم " ودلالته غير واضحة تماما " (حمدوش ، 2009 ، 34)، وعليه فإننا نسرد مجموعة من التعاريف لتتوافق وإشكالية الورقة المقدمة.

" فالروابط هي كل ما يربط الناس ويشد بعضهم الى بعض سواء كانت ذات طابع مادي او معنوي، ويجعلهم متلازمين ومواظبين على ذلك " (محمد بومخلوف ،2006 ، ص 19)، وهي تلك الصلات و الأواصر والخيوط التي تجمع الناس وتشد بعضهم بعضا، مهما كانت طبيعتها دموية او تقليدية او حديثة " (محمد بومخلوف ، 2006 ، ص 20)، كما تعني " تلك الأشكال من العلاقات التي تربط الفرد بالمجوعات الاجتماعية وبالمجتمع، والتي تسمح له في نفس الوقت بان يكون اجتماعيا وان يندمج في المجتمع " (wikipedia.org/wiki/Lien_social) ، كما نقصد بها تلك

العلاقات الاجتماعية التي تتم وتجمع بين الأفراد في حالات وجه لوجه، سواء أكانت علاقات شخصية او لا شخصية، فالرباط الاجتماعي يعني مجموع العلاقات سواء أتعلق الأمر بالألفة او الانسنة الاجتماعية sociabilité او اي شكل من أشكال الرباط الاجتماعي (رشيد حمدوش ، 2009 ، ص 34).

يدخل في مفهوم هذه العلاقات كل من العلاقات " الحقيقية والافتراضية " (Pascal Beria , para01) على حد السواء، وتتعدد الروابط الاجتماعية بحسب معايير تصنيفها بين القوية والضعيفة او التقليدية والحديثة، وقد اقترح "سيرج بوقام" أربعة أنواع من الروابط تتمثل.

في الروابط القرابية وهي التي تجمع بين الأبناء والاباء، و الروابط التشاركية الاختيارية وهي العلاقة التي يكون لنا فيها اختيار في ربطها مع من هم اقرب لنا، كعلاقة الصداقة التي نحتاج الى ربطها كل مرة وهي تتجدد، بينما النوع الثالث من الروابط هي الروابط التشاركية العضوية وهي مأخوذة من مفهوم دوركايم حول التضامن العضوي، اي العلاقات التي تنشأ في أوساط العمل، فالأفراد مربوطين فيما بينهم من خلال عالم الشغل، والاخير هي روابط المواطنة، وهي التي تجمع بين نفس افراد المجتمع السياسي (Serge Paugam,2021,p06).

يمكن أن نلمس من خلال هذا مستويات الروابط الاجتماعية والتي تظهر على مستوي العائلة ومستوي التفاعل بين الأفراد الأقرب إلى مستويات العمل والمجتمع او الوطن والدولة، مع العلم ان هناك تصنيفات أخرى للروابط الاجتماعية يمكن تبنها في محتوى الدراسة .

4- حتمية الوباء :

يعود ظهور وباء كوفيد 19 الى شهر ديسمبر 2019 بمدينة يوهان الصينية، ليسير بعد ذلك بمنحي تصاعدي عمودي وافقي منتقلا لكل دول العالم بقاراتها المختلفة ، وتقره منظمة الصحة العالمية ثلاثة اشهر بعد ذلك وتحديدا في 11 من شهر مارس بالجائحة العالمية، هذه الاشهر الثلاث كانت كافية لتظهر اول حالة في الجزائر وتحديدا في 25 فيفيري 2020 للرعية الايطالي وصل الى الجزائر في 17 فيفري وقامت السلطات بترحيله في 28 من نفس الشهر، ومع بداية شهر مارس بدأت تظهر حالات الإصابة في أوساط العائلات الجزائرية، ترجع جلها كما أشارت المصادر الرسمية إلى الزيارات العائلية بين مواطنين يقطنون في فرنسا انتقلوا الى ولايات جزائرية في مرحلة انتشار المرض كما يشير الجدول رقم 1، فجل الحالات المسجلة ترجع لرعايا أجانب دخلوا البلاد أو لمواطنين جزائرين تنقلوا للخارج، وخاصة فرنسا نظرا للعلاقة التاريخية واتجاه الهجرة وتنقل المواطنين، كما يوضح الجدول التوزيع المجالي للاصابات الذي مس تقريبا جهات الوطن، الوسط الشرق والغرب وكذلك الجنوب.

جدول 1. الحالات الاولي للاصابة بالمرض حسب الولاية (المصدر: https://www.sante.gov.dz/ ، جويلية 2020)

الولاية	تاريخ تسجيل اول حالة	ملاحظات
البليدة	02 مارس 2020	
الجزائر العاصمة	13 مارس 2020	اصابة شخص عائد من فرنساعمره 36 سنة
سطيف	19 مارس 2020	اول اصابة لمغترب عائد من فرنسا عمره 75 سنة
وهران	19 مارس 2020	اغلبهم عادوا من خارج الوطن
قسنطينة	22 مارس 2020	اول حالة لامراة عادت من فرنسا تبلغ 58 سنة
تيبازة	21 مارس 2020	شاب من مدينة الدواودة يبلغ من العمر 29 سنة
عين الدفلي	17 مارس 2020	اول اصابة لشخص عائد من فرنسا (مغترب)
باتنة	25 فبراير 2020	اول اصابة لمواطن ايطالي وصل الى الجزائر في 17 فبراير
المدية	16 مارس 2020	اول اصابة لشخص عائد من فرنسا عمره 38 سنة
عنابة	16 مارس 2020	اول اصابة لشخص عائد من فرنسا عمره 34 سنة
الوادي	04 مارس 2020	اول اصابة لسيدة تبلغ من العمر 78 سنة
سكيكدة	15 مارس 2020	تسجيل اصابة رعية ايراني
ميلة	19 مارس 2020	مواطن من الولاية سافر الى فرنسا والمانيا يوم 3 مارس
سيدي بلعباس	12 مارس 2020	حالة اقامة في فرنسا

هذه الحالات المدونة بالتفصيل لدي وزارة الصحة والسكان، تشير الى سيناريو انتشار المرض الذي بدا يأخذ منحي تصاعدي على شكل الكرة الثلجية، كانت أسبابه تنقلات بين البلدان المصابة الى البلدان الغير مصابة، ويبدو ان حركة التنقلات كانت سببا رئيسيا لدي كل دول العالم في انتشار المرض، ولكن بالنسبة للجزائر يمكن اعتبار الزيارات العائلية من دول المهجر الى الداخل بأنها كانت من بين أسباب انتشار المرض، وهنا تصبح حتمية المرض واردة نظرا للعلاقات العائلية القرابية الموجودة بين المهاجرين وعائلاتهم بالداخل.

الشعور بالخطر حفز العديد من الأفراد الى الرجوع الى المجتمع الأم وهذا ما عبرت عنه الأعداد الهائلة التي أرادت الدخول للجزائر خلال الأشهر الأولي سواء الذين كانوا في زيارات قصيرة او اقامات طويلة كما عبر عنه الجدول رقم 2، فهذا السلوك ليس

عفوى بل هو نابع من قناعات وتصورات حول العلاقة بين المجتمعات الأم والمجتمعات المهاجر اليها، يتم التعبير عنها في كل حدث يثير عوامل الانتماء ومقومات الهوية، فالجائحة أعادت إحياء الشعور بالانتماء للوطن والرجوع للأصول بخلاف المجتمعات الغيرية التي يتم الهجرة اليها في الغالب لظروف العمل.

من خلال الجدول نلحظ نسب اعداد الوافدين من جهات مختلفة ومن فرنسا على وجه التحديد، من اجمالي 3886 قادم خضعوا للحجر الصحي، هناك 2261 قدموا من فرنسا، اي ما نسبته تقريبا 58% من العدد الاجمالي وهي نسبة تفوق النصف، مما يدعم ما تم طرحه سابقا، حول العلاقة بين الاصول والوافدين.

جدول 2. حالات الحجر الصحي للو افدين من الخارج (المصدر: https://www.sante.gov.dz/ ، مارس 2020)

المنطقة	مكان الحجر	عدد المحجورين	مكان القدوم	ملاحظات
الجزائر	فندق الرايس	48	ووهان الصينية	48 شخص من الصين بينهم 31 جزائري وجنسيات اخري طائرة خاصة وضعوا في الحجر الصحي
حاسي مسعود ورقلة	قاعدة الحياة" واد تاه"	11	روما (ايطاليا)	عزل 11 ايطاليا بقاعدة الحياة "واد تاه" بحاسي مسعود
ادرار	المجمع الغازي برقان	64	امحليين	حجر عمال المجع الغازي برقان كاجراء وقائي بعد التاكد من اصابة واحد من بين عشرة جزائرين
الطارف	طونغا ومركز التكوين في السياحة والفندقة	163	تونس	عبر الحدود البرية
عنابة	بيت الشباب سيدي ابراهيم	150	تونس	عبر الحدود البرية
وهران	مركب الاندلسيات	648	مرسيليا فرنسا	648 راكب قدموا من فرنسا عن طريق باخرة " الجزائر2 "
الجزائر	فندق مازافران	742	مرسيليا فرنسا	كلهم قادمين من مدينة مرسيليا من فرنسا
سوق اهراس	الاقامة الجامعية	140	تونس	عبر الحدود البرية
تلمسان	فندق الزيانين	81	الدار البيضاء (المغرب)	81 مسافر جزائري قدموا من الدار البيضاء بالمغرب
وهران	فندق الرئيس	294	اسطنبول (تركيا)	
مستغانم	فندق صابلات	278	ليون ومرسيليا (فرنسا)	
مستغانم	فندق الزهور	273	لندن (بريطانيا)	
بومرداس	منتجع سياحي بزموري	352	اسطنبول (تركيا)	
تلمسان	فندق النهضة	250	باريس (فرنسا)	
تيبازة	مركب القرن الذهبي ، متاريس ، البلج	542		كانوا عالقين بمطارات دول اجنبية
سوق اهراس	الاقامة الجامعية	113	تونس	دفعة ثانية عبر الحدود البرية
قسنطينة	فنادق	343	باريس ومصر	قادمين من كلا الدولتين
سطيف	سبع فنادق	324	تونس	وصلوا جو ا
المجموع		3886	/	/

العلاقات القرابية والأسرية سوف تساهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تنامي حالات الإصابة بالجزائر، مما يعزز فرضية دور الروابط الأسرية في انتشار المرض وتفشيه، أي أن الروابط الاجتماعية بالشكل الذي تظهر به في مجتمعاتنا تعتبر محفزا ايجابيا لانتشار المرض، وما زاد في تدعيم هذه الفرضية هو ارتفاع حالات الإصابة التي وصلت الى ذروتها خلال شهرى جويلية و شهر أوت وكان للزيارات الأسرية دور في ذلك وخاصة المناسبات الدينية والاجتماعية الأعياد و الاحتفالات كما يشير إليه الشكل 1، الزواج

والولائم و اقامات العزاء، ففي الغالب لا يتم الالتزام بمعايير الوقاية والتباعد الاجتماعي، الذي يتنافي وأسس ومبادئ هذه المناسبات التي تدعم اللقاءات والتجمعات وتفتح باب الاتصالات المباشرة للأفراد والجماعات بعضها مع بعض، كما أشار إليه الشكل الذي يبين تنامي الإصابات خلال الشهر الأخير الذي تصادف مع المناسبات الدينية (الاعياد خاصة).

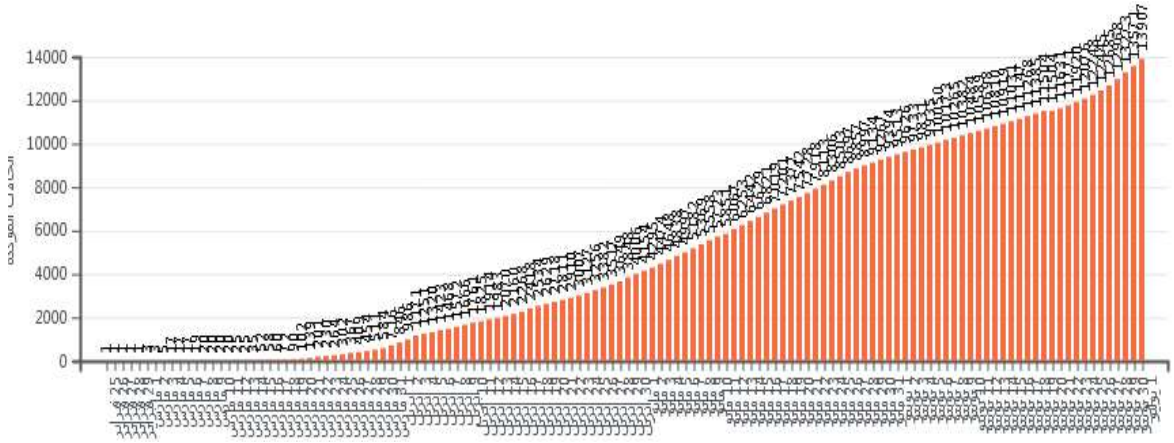

شكل 1. تطور حالات الاصابة في الجزائر حسب الاشهر (المصدر: https://covid19.sante.gov.dz/carte/ : 2020)

5- الرابط الاجتماعي وإشكالية الثقة :

يمكن اعتبار الجائحة بمثابة آلية تسمح بقياس مؤشرات الاندماج والتعاطي مع الدولة الوطنية في مستوياتها العليا، وقياس مواطنية المواطن في أوجه عديدة، لقد سمحت الجائحة بتوسيع دور الدولة ونفوذها من خلال إعادة بعث مكانة ودور مؤسساتها في ضل تفشي هذا الوباء، و فرض هيمنتها وتعزيز دورها بفرض القوانين و الإجراءات بصرامة وفي بعض الأحيان بطريقة سلطوية مبالغ فيها، مما أعاد للأذهان صورة الدولة الشمولية في بعض البلدان العربية، فتدخل القوى الأمنية ليس تدخلا تنظيميا غرضه المساعدة والحد من انتشار الوباء فقط بل كذلك فرض النظام والالتزام القصري بالاستراتيجيات المتبناة، وخضوع الناس لنفس المبادئ والإجراءات، تقييد حرية الأفراد في التحرك وهنا العديد من الباحثين أشاروا إلى إعادة النظر في مفهوم الديمقراطية، الذي بدا مفهوما نسبيا مع الحدث . وما يدعم ذلك الاحتجاجات التي ظهرت في بعض الدول الغربية وخاصة الألمانية تناقش مبدأ تقييد الحريات والتدخل في الحريات الشخصية.

بخلاف ذلك شهدت موجات الاحتجاجات والتعبير في الجزائر خلال الأسابيع الأولي لانتشار الوباء من طرف بعض الشباب اهتزاز في درجة ثقة القرارات والإجراءات المتخذة من طرف السلطات وهذا بدوره صعب عملية محاصرة انتشار الوباء والتحكم فيه، فاهتزاز الثقة هو اهتزاز للروابط، " فلا روابط بدون ثقة " (بومخلوف ، 2006 ، ص 19)، وهذا سيصبح سلوكا معتادا في التعاطي مع هذا الوباء بالنسبة لشريحة واسعة من المجتمع سواء على مستوي القرارات ام على مستوي اللجان المشرفة على إدارة الأزمة، او مؤسساتها التي يتم في الغالب مقارنتها بمثيلاتها الغربية، مما يضطرها لتبرير اختياراتها والدخول في عملية الإقناع بوسائل مختلفة لشريحة واسعة مُشككَة.

6- رد الجميل ، دور الأجيال الشابة :

لأول مرة تصبح التوصية بالتباعد الاجتماعي او التباعد الجسدي ضمن قانون تنص عليه منظمة الصحة العالمية وهذا بالرجوع الى وثيقة التي صدرت عن المنظمة (https://www.who.int/ar)، ويصبح قانونا تقره جميع الدول وتعترف به، لحد اطلق عليه بعضهم بانقراض التصافح والعناق وأشكال الاتصال المباشر التي كثيرا ما اعتدناها في مجتمعاتنا، وعملا بهذه التوصيات

التي اقرتها منظمة الصحة العالمية تم تبني في العديد من الدول استراتيجية الحجر الصحي، وهي سياسة وقائية تسعى الى تقليص هوامش الاتصال المباشر بين افراد المجتمع، والحد من انتشار الوباء، لكن سرعان ما ظهرت تداعيات هذه السياسة على الفرد والمجتمع وكرست درجات التفاوت والتباين بين الشرائح الاجتماعية التي كانت تتوارى خلف سياسات الدعم الاجتماعي، فالمكوث في البيوت لم يكن حلا مرضيا لشريحة واسعة من المجتمع التي كانت تقتات من العمل اليومي كضامن لمعيشتها، اضافة الى " مساحة البيت الذي يرتبط بحجمه وكثافة ساكنيه "(عبد الصمد الديالمي،2020،الفقرة02)، التي في الغالب لا تشجع سياسة الحجر المنزلي وتشجع على التمرد وخرق الحجر .

لم تكن تداعيات الوباء والسياسات الوقائية المرافقة له تكرس التفاوت بين طبقات المجتمع فحسب، بل الى تكريس التباين حتى بين الآباء والأبناء والأزواج والزوجات، يشير عالم الاجتماع Eric Widmer (2020) " إلى أن الدراسات التي أجريت ترى أن كبار السن يقدمون دعما ماليا وعمليا للشباب، سنلحظ تغيرا في الاتجاه حيث سنرى الشباب يقدم أعمالا تضامنية مع المسنين بشكل اكبر "(para04) .

هذه الشريحة التي عدت أكثر تضررا في المجتمع، فيما كان يظهر العديد من الشباب اللامبالاة باعتبار تمتعهم بصحة جيدة واستهتارهم بإمكانية تنقل العدوى والمرض، وعلى العكس من الدول الغربية كانت تبدي شوارعنا إحساسا مشتركا لدى الفئتين بأنهم بمناي عن انتقال الوباء وان وصوله بعيد، متمتعين بالاعتقاد بالقضاء والقدر و روح المجازفة لدى الفئتين والثانية اكثر، و لم تتغير هذه الصورة إلا مع تصاعد حالات الإصابة وارتفاع نسبة الوفيات.

7- تعزيز للفردانية ام روح الجماعة ؟:

تعزز الإجراءات المتخذة لمجابهة الوباء قيم الفردانية من خلال الدعوة الى الانعزال والتباعد الاجتماعي، وضرورة الالتزام بالبيوت والتباعد قدر الإمكان عن أي احتكاك مباشر للأفراد مع بعضهم البعض، وهذا تقليص لهامش التواصل بين الأفراد وأسرهم القرابية، التي تعتبر في المجتمع الجزائري ظاهرة مألوفة، فزيارة الأقارب هي تعبير وتدعيم للروابط القرابية بين الاسر النووية خاصة وذويهم، وهي دعوة في صميمها الى تعزيز الفردانية بمقابل الروح الجماعية، لذلك بدا الالتزام بها امرا عسيرا بالنسبة للفرد الجزائري، مما جعله يخلق بدائل لعملية التواصل المألوفة والروتينية في حياته.

كما كانت دعوات الانعزال والتباعد بالطريقة التي تم التعاطي بها خلال الشهور الاولي، تعزز قيم الفردانية، وظهر ذلك في السلوكات التي تعبر عن سيادة الأنانية وتغليب المصلحة الفردية بمقابل المصلحة العامة، وهذا ما تناقلته كل الوسائل من عمليات احتكار وزيادة في الأسعار واستغلال، وان كانت تظهر على مستويات بسيطة فهي ترتقي الى مستويات اكبر من خلال الدول والحكومات التي توظف الحدث لمكتسبات سياسية و اقتصادية، مما يطرح الحدث بحد ذاته في سياقات لعبة دولية يتحدد من خلالها الرابح والخاسر.

وان عدت هذه السلوكات طبيعية في ظل الانتشار الواسع للوباء وسرعة انتقال العدوة ، فقد أثارت في الناس الشعور بالخوف من الموت او العدوة وعليه تجعل الأفراد يحتاطون او يلجئون الى عقلنة سلوكياتهم مع الآخرين ليس بهدف المصلحة النفعية ولكن بهدف غريزة حب البقاء والمحافظة على النفس ومنه تظهر الأنانية.

بخلاف ذلك عزز ظهور الوباء بوجه اخر قيم التضامن والتعاون التي تجسدت في إعادة إحياء دور المنظمات والجمعيات المحلية وكذا الدولية في تقديم المساعدات والانخراط السريع في العمل التطوعي، الذي بدا بأشكال مختلفة وبوسائل متعددة، وأعاد الصورة الحقيقية التي يجب أن يكون علها المجتمع في قيم التضامن والتساند مع تنامي الخطر المشترك الذي يستوجب المجابهة المشتركة، وتغليب القيم الإنسانية بخلاف ما يشهده العالم من انحرافات في المستوي القيمي والخلقي.

8- أية رو ابط محتملة ؟ :

سياسة التباعد الاجتماعي او الجسدي حفزت على ظهور أشكال جديدة من التفاعل بين الأفراد وهذا في حد ذاته إبداع كما يذكر ذلك عالم الاجتماع Christian Staerklé (2020) "الاقتراب من مسافة بعيدة ، وأشكال جديدة من المساعدة المتبادلة، سواء بالوسائل التقليدية كالهاتف او من خلال التقنيات الجديدة او الدردشة او اشكال اخرى من التفاعل الافتراضي" (para2)، الذي أتاح إمكانية التواصل وربط للعلاقات في إطار فضاء أوسع، خلق بدائل إقامة علاقات في مجالات متعددة، سواء الاتصال الشخصي أو أشكال الاتصال والتبادل العامة، وهنا نحن امام روابط وعلاقات ظرفية املتها الظروف، مهما طال الوباء لا يمكن التخلي عن عمليات الاتصال المباشر والقرب الاجتماعي، مما يعطينا الحق في تسمية ما تشهده استعمالات وسائل التواصل الاجتماعي في ظل تفشي الجائحة، بالروابط الظرفية او المتغيرة بمقابل روابط دائمة، وان كان مصطلح الروابط الافتراضية أكثر استعمالا إلا انه لا يعبر بالضرورة عن مرحلة تفشي المرض ولا يرتبط في الغالب بالمرض، بل تظهر كثافة استعماله خلال هذه المرحلة.

تشير العديد من المقالات والدراسات الى الدور السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي في نقل الأخبار الكاذبة وإثارة الخوف والذعر بين متتبعيها، الا أن إتاحة استخدام تلك الوسائل كبدائل اتصالية وتوسيع استخداماتها جعلها تحتل مكانة هامة ضمن نسق العملية الاتصالية التي شهدت تقلص على المستوى الواقعي بمقابل الافتراضي الذى توسع هامش استخداماته .

5- الخاتمة:

أبانت الجائحة من خلال العرض السابق وتتبع تنامي الظاهرة إحصائيا بالجزائر خاصة، مدى صلابة وعمق العلاقات القرابية ومقدرتها القوية على الصمود امام هذه الجائحة وتداعياتها، وهذا ما عزز فرضية أسباب سرعة انتشار الوباء نتيجة للروابط الاسرية والقرابية التي ساهمت بشكل غير مباشر في انتشار المرض وتفشيه، و عُدت آلية حقيقية يمكن من خلالها اختبار صلابة بنية مجتمعاتنا ذات العمق التقليدي، وان كانت هذه البنية تعبر من جهة عن مقاومتها لأي حادث طارئ فهي بنية حاضرة ويتم إحيائها في العديد من المناسبات والأحداث، وعلى العكس من ذلك أظهرت الجائحة في بدايتها هشاشة العلاقة و هلاميتها و ضعف درجة الانتماء للدولة الوطنية، والتي تم ترميمها من خلال رفع درجة الحس العام وتعزيز المصلحة العامة حفاظا على ديمومة المجتمع، وهذا من خلال آليات عديدة لعبت دورا ايجابيا في إعادة الثقة وتعزيز العمل المشترك من خلال ادراج جمعيات وهيئات المجتمع المدني ضمن العمل التطوعي ونشر الوعي العام، وهذا بدوره قلص نسبة النزعة الفردية التي سادت خلال الأشهر الأولى لتفشي الوباء، وتحولت الى دعوات تشيد بدرجات التضامن والتآزر التي تلقى مرجعية في ثقافتنا التقليدية والتي تم إحيائها واستثمارها في هذا الجانب.

أمام هذه الوضعية التي عبرت عن اهتزاز للروابط التقليدية ذات البعد القوي الضارب في جذور مجتمعاتنا، وعدم اضمحلاله، فتحت هذه الجائحة انخراط مجتمعاتنا ضمن نسق العلاقات الافتراضية بشكل سريع وكثيف، ونسجت شبكة علاقات وروابط ظرفية افتراضية تعويضا عن الخلل الحاصل في طبيعة الروابط الاجتماعية، وتوسيع دائرة استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي كآلية حتمية للتواصل في ظل هذه الظروف، رغم التحفظات العديدة التي تم تسجيلها.

إن هذه السيرورة تعبر بشكل واضح ليس على المستوي المحلي وحسب، بل على المستوي العالمي عن مقدرة البشرية على التكيف مع الجوائح والكوارث المفاجئة، ومقدرتها على الحفاظ على بنية وطبيعة المجتمعات البشرية من خلال الحفاظ على نسيج علاقاتها الاجتماعية وروابطها، بل استعاضتها بما يمكن ان يحفظ لها خصائصها كوحدة بشرية، رغم ما قيل عن تراخي وتلاشي هذه الروابط، وانحرافات الإنسانية وخروجها عن فطرتها، التي لا يمكن تفسيرها إلا باختبارها من خلال هذه الهزات.

- قائمة المراجع:

رشيد حمدوش . (2009) . الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية ام قطيعة ؟ ، دار هومة ، الجزائر .

عبد الصمد الديالمي .(2020)، سوسيولوجيا جائحة الكورونا ،https://www.mominoun.com/articles/7090- الكورونا - جائحة - سوسيولوجيا ، تاريخ المعاينة 20 افريل 2020 .

محمد بومخلوف .(2006)، الروابط الاجتماعية ومشكلة الثقة ، الملتقي الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع : الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري ، 6و7 نوفمبر 2006 ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر .

موقع وزارة الصحة والسكان واصلاح المستشفيات.(2020)، الخريطة الوبائية، https://covid19.sante.gov.dz/، تاريخ المعاينة مارس افريل 2020.

Christian Staerklé. (2020), L'amour, l'amitié (et tout le reste) au temps du Covid-19, https://www.letemps.ch/societe/lamour-lamitie-reste-temps-covid19 , consulté le 19 mars 2020.

Eric Widmer. (2020), L'amour, l'amitié (et tout le reste) au temps du Covid-19, https://www.letemps.ch/societe/lamour-lamitie-reste-temps-covid19 , consulté le 19 mars 2020.

https://www.who.int/ar

Jean-Yves Dartiguenave, Jean-Michel Le Bot, Jean-François Garnier. (2021), Repenser le lien social : de Georg Simmel à Jean Gagnepain et à la sociologie clinique, https://hal.archives-ouvertes.fr/halshs-01512691, consulté le 12 janvier 2021.

Pascal Beria. (2020) , Liens faibles, liens forts : le paradoxe de la relation sociale , http://www.lesiteducontenu.com/liens-faibles-liens-forts-le-paradoxe-de-la-relation-sociale/, consulté le 19 mars 2020 .

Serge Paugam. (2021) , Le lien social : entretien avec Serge Paugam , http://ses.ens-lyon.fr/articles/le-lien-social-entretien-avec-serge-paugam-158136 consulté le 10 janvier 2021.

wikipedia.org/wiki/Lien_social